JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ
العدد الأربعون
(٦٥)- (٨٥)

الشخصية وعلاقتها بالفضاء المكاني في شعر بني تميم في العصر الجاهلي

حنين غازي عطية التميمي

Hanin.Ghaz@uowasit.edu.iq

قسم اللغة العربية/كلية التربية الأساسية/جامعة واسط

أ.د مشتاق طالب منعم الشمري

mtalib@uowasit.edu.iq

المستخلص:

يُعدّ المكان في النص الأدبي عنصرًا جوهريًا يتجاوز كونه خلفية محايدة للأحداث، إذ يتفاعل مع الشخصيات ويؤثر في حالاتها النفسية وسلوكها، كما يسهم في تحديد طبيعة الأحداث ومسارها. وفي الشعر، يتخذ المكان بعدًا وجدانيًا، حيث يغدو مرآة لمشاعر الشاعر وتجربته الوجودية، ويكشف عن رؤيته وهويته الداخلية. وقد أشار النقاد إلى إن المكان يرتبط ارتباطًا وثيقًا بجميع مكونات النص السردي؛ فلا يمكن تصور حدث أو حركة شخصية أو تبدل زمني خارج حدوده. ومن هذا المنطلق، يصبح المكان فضاءً حيويًا يولد منه العمل الأدبي، ويستمد منه الأديب رؤيته وتفاعله، كما يشكّل إطارًا أساسًا لظهور الشخصيات وتطورها، بما يسهم في بناء الفضاء النصي وتشكيله.

إن إدراك أهمية المكان في الأدب يكشف عن دوره في صياغة التجربة الإنسانية، ويؤكد إنه ليس مجرد إطار خارجي، بل عنصر فاعل في تشكيل البنية السردية والوجدانية للعمل الأدبي.

الكلمات المفتاحية: الشخصية – المكان – شعر بني تميم

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

the Character and Its Relationship with the Spatial Dimension in the Poetry of Bane Tamīm during the Pre-Islamic Era.

Hanin Ghazi Atiyya Al-Tamimi

Prof. Mushtaq Talib Munim Al-Shammari

Department of Arabic Language, College of Basic Education, University of Wasit

Summary:

Place in the literary text is a fundamental element that goes beyond being a neutral backdrop for events. It interacts with characters, influences their psychological states and behaviors, and contributes to shaping the nature and trajectory of events. In poetry, place takes on an emotional dimension, becoming a mirror of the poet's feelings and existential experience, while revealing his vision and inner identity. Critics have pointed out that place is closely tied to all components of the narrative text; it is impossible to imagine an event, a character's movement, or a temporal shift outside its bounds. From this perspective, place becomes a vital space from which the literary work emerges, providing the writer with vision and interaction, and forming a primary framework for the appearance and development of characters. This, in turn, contributes to constructing and shaping the textual space. Recognizing the importance of place in literature reveals its role in shaping human experience and affirms that it is not merely an external frame, but an active element in forming the narrative and emotional structure of the literary work

Keywords: Character Representation – Spatial Dimension – Bane Tami's Pre-Islamic Poetry

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

مقدمة:

يُعدّ المكان في النص الأدبي عنصراً بنيوياً فاعلاً يتجاوز حدود كونه إطاراً خارجياً للأحداث، ليغدو فضاءً حيوياً يتداخل مع حركة الشخصيات ويؤثر في مساراتها النفسية والسلوكية. فهو ليس مجرد خلفية جامدة، بل مكوّن جوهري في تشكيل التجربة الإنسانية والإبداعية، إذ تتأسس من خلاله الرؤية الفنية للأديب، ويتجلى عبره البعد الوجودي والجمالي للنص. وقد أشار النقاد إلى إن المكان يرتبط ارتباطاً عضوياً بالحبكة والشخصيات والزمن، بحيث لا يمكن تصور حدث أو تحول سردي خارج حدوده، مما يجعله شريكاً أساسياً في بناء النص وتشكيل دلالاته. وفي الشعر العربي عموماً، وشعر بني تميم على وجه الخصوص، اكتسب المكان بعداً وجدانيّاً عميقاً، حيث تحوّل إلى مرآة لهوية الشاعر وانفعالاته، وإلى شاهد حيّ على لحظات الشوق والفقد والحنين، بدءاً من الأطلال في الشعر الجاهلي وصولاً إلى التجارب الحديثة التي تستثمر المكان بوصفه رمزاً وجودياً وفضاءً تخييلياً يعكس صراعات الذات وتحوّلاتها. ومن هنا، تتجلى أهمية المكان في كونه وسيطاً بين الواقع والخيال، وعنصراً مركزياً في إيصال معنى الحياة داخل النص الأدبي، بما يمنحه من عمق إنساني وفني يرسّخ حضوره في الذاكرة الجمالية والثقافية.

المكان في النص الأدبي ليس مجرد خلفية جامدة، بل هو عنصر حي يتفاعل مع الشخصية ويؤثر في حالتها النفسية وسلوكها. وفي الشعر، يصبح المكان جزءًا من وجدان الشاعر، يعكس مشاعره ويكشف عن رؤيته وتجربته الوجودية، مما يجعله مرآة لهويته وانفعالاته.

"فالمكان عنصر حيوي في العمل الأدبي، وله علاقات وثيقة، وروابط متعددة بكل المحاور التي يتشكل منها النص السردي، فلن يجري حدث ما، أو تتحرك شخصية من الشخصيات، أو تتبدل برهة زمنية خارج حدود المكان، حتى روي عن (بلزاك) أنه لا يتخيل شخصياته بمعزل عن البيوت التي يقطنونها، فتخيل شخصية عنده، يعني تخيل المكان الذي يحيط بها بأكمله، فالمكان عامل أساس في تحديد نوعية الأحداث، وسلوك الشخصيات التي تخترقه"(المشلب:٢٠١٠:١١٨).

لذا عدّ المكان عنصرًا جوهريًا في تشكيل التجربة الإنسانية، إذ لا يمكن إدراك مظاهر الحياة وموجوداتها إلا من خلاله. ومن هذا المنطلق، يتأسس العمل الأدبي داخل فضاء مكاني يتماهى فيه الأديب مع عناصره، ويستمد منه رؤيته وتفاعله الإبداعي. وتنبع أهمية المكان في النص الأدبي من

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

علاقته العضوية بحركة الشخصيات، حيث يشكّل إطارًا لظهورها ويواكب تطور الأحداث التي تشارك فيها، بما يسهم في بناء الفضاء النصي وتشكيله. وهكذا يغدو المكان ليس مجرد إطار خارجي، بل مكوّنًا أساسًا في البنية السردية، يحدد طبيعة التجربة الأدبية ويكشف عن أبعادها الوجودية والجمالية(ينظر: بشيشي،٢٠٢٢:١٩٥).

ولابد من الإشارة إلى إن "المكان قديم قدم الأطلال في الشعر الجاهلي، فهو مرتبط ارتباطا وثيقا بشخصية الشعراء لكونه في النص الشعري يغدو شخصية فاعلة ومؤثرة بما يحمل من صور لذكريات الشاعر السعيدة والحزينة، فالشاعر العربي اتخذ الأطلال مكانا لإثارة ذكرياته، واخذ يناجيها ويستنطقها واكثر من الوقوف عليها"(سعود، جلود، ٢٠٢١:٨٤).

ومن خلال هذه العلاقة، "يمكن للمكان أن يكشف عن أعماق الشخصية، ويعكس حالاتها الشعورية، ويبرز صراعاتها الداخلية. كما إن تغير المكان قد يُوازي تحوّلاً في الشخصية نفسها، فيكون الانتقال من مكان الى آخر بمثابة رحلة داخلية نحو النضج أو الإنكسار. وهكذا، يصبح المكان شريكاً سرديا فاعلا، لا يقل أهمية عن الحبكة أو الحوار، بل يسبغ على الشعر طابعاً خاصاً يُثري التجربة الأدبية ويمنحها عمقا إنسانيا"(فوغالي،٢٠٠٨:١٨٣) .

والمكان يعد نقطة الانطلاق والختام في تشكيل النص الشعري، فبه ترتبط تجربة الشاعر ارتباطا عميقا متعدد الأبعاد، ومن خلال تلك العلاقة، يمنح الشاعر المكان طابعاً خاصا، فيحوله من مجرد مسكن مهجور إلى طلل نابض بالإثارة، ومن فضاء ساكن إلى شاهد حيّ على لحظات مجّد أو شوق، وتكتسب بعض الأماكن بفضل هذا التفاعل شاعرية متأصلة تكاد تلازمها وتمنحها حضورا دائما في الذاكرة الشعرية(ينظر: الشيخ،٢٠١٢:١٣٧). فالمكان يمثل فعلاً وصفيًا يرتبط بتجربة الشاعر ارتباطًا عضويًا فيمنح النص عمقه الأبداعي الضارب في القدم فضلاً عن عمقه الفني.

ويتأسس المكان في النص الأدبي على بنية تخييليه، غير إن فاعليته السردية لا تتحقق إلا من خلال قدرته على محاكاة العالم الواقعي بدرجة معينة. فالمكان، وإن كان وليد الخيال، لا يكتسب دلالته ولا يستقر في وعي المتلقي إلا إذا تماثل – ولو جزئياً – مع الواقع الخارجي، إذ إن بناء الحدث وتشكيل الشخصية يظل رهيناً بوجود فضاء ملموس ومحدد المعالم. ومن هنا، يغدو المكان عنصراً مركزياً في إيصال الإحساس بمعنى الحياة، ويضطلع بدور مضاعف في تأكيد استمراريتها

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

وتواصلها داخل النص(ينظر :ابراهيم،١٩٨٨:١٢٧). وهذا الأمر يبين لنا مدى تعالق الشخصية مع المكان والمكان مع الشخصية.

ويلحظ أن المكان الشعري هو الذي يستقطب اهتمام الشاعر؛ لأن تعيين المكان في القصيدة الشعرية هو البؤرة الضرورية التي تدعم الكلام وتنهض به في كل عمل تخيلي(ينظر :ابراهيم،١٩٨٨:٢٩).

ولاشك _ ومن خلال ما تقدم_ يتبين أن الشخصية لها الأثر الفاعل في البناء المكاني وتطور الأحداث التي تشارك فيها؛ فالمكان لا يمنح وجودًا مسبقًا أو ثابتًا، بل يتشكّل و يتحدد عبر تفاعل الأبطال معه، واختراقهم له، وما يسبغونه عليه من خصائص وسِمات نابعة من أفعالهم وتجاربهم(ينظر :بحراوي،٢٠٠٩:٢٩).

ويذهب حسن بحراوي إلى إن المكان لا يُبنى على نحو اعتباطي أو خاضع للصدفة، بل يقوم على رؤية جمالية واعية تجعل من اختيار الأمكنة وتوزيعها داخل النص جزءاً من البنية الفنية التي تسهم في إنتاج الدلالة وتوجيه القراءة(ينظر :بحراوي،٢٠٠٩:٣٨). لذا يُعَدّ الشاعر أكثر الأفراد إحساساً بالمكان وتأثراً به، إذ يستجيب لما يثيره فيه عبر حواسه المختلفة، ثم يحوّل تلك الاستجابات إلى صور شعرية يوجّهها الخيال، فالشاعر الحقيقي هو من يمتلك القدرة على إعادة تشكيل معالم المكان أو الطبيعة في قصيدته بصورة مغايرة للواقع، لتنشأ علاقة متواصلة بين المكان في أبعاده ودلالاته، وبين عاطفة الشاعر وإحساسه العميق(ينظر :عبد العبدلي،٢٠١٢:١٨٩).

كما أن الفاعلية التي تضطلع بها الشخصيات في علاقتها بالمكان لا تقتصر على مجرد الحضور داخل النص، بل تتجاوز ذلك لتمنحه بعدًا إنسانيًا يخرجه من حياده ويضفي عليه طابع الأنسنة، فينشأ بذلك فضاء حيّ يتبادل التأثير مع العاطفة والسلوك والوعي(ينظر: حاج عثمان وآخرون،٢٠٢٤:١٣٣).

ويمكن النظر إلى المكان الشعري بوصفه نتاجًا مباشرًا للحدث والموقف الشعريين، إذ تتحدد قيمته الجمالية والتعبيرية بقدرته على استيعاب الرؤى وتجسيد الأحداث، وكلما ازداد تفاعل المكان مع البنية الدلالية للنص، تعمّقت شعريته وتنامت كثافته الرمزية وفاعليته التعبيرية، الأمر الذي يعزز من قدرته التأثيرية في المتلقي(ينظر: حاج عثمان،٢٠٢٤:١١٩).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

وتتسم علاقة الشاعر بالمكان بتعدد أبعادها، إذ يستحضر فيه الواقعي والخيالي والوهمي في آن واحد، فالشاعر يعيش المكان على مستوى الوجود المادي الحقيقي، وفي الوقت نفسه يسبح فيه ضمن فضائه الشعري، مستدعيًا إياه من رصيده المعرفي والثقافي(ينظر :الشيخ،٢٠٢١:١٢٧).

وبناءً على ماجرت الإشارة إليه وما اتضح لنا من علاقة الشخصية بالمكان والتي ظهرت باتجاهات متعددة ودلالات شتى يمكن الوصول إليها من خلال النص الإبداعي، نجد إن ذلك الأمر ينطبق انطباقًا تامًا على الشاعر القديم الذي حرص على تأطير المكان وتثبيته في الذاكرة الشعرية خشية ضياعه وزواله، فجاء ذكره للنؤي والأحجار والأثافي دليلًا على هذا الحرص. إذ نلحظ ميله المتكرر إلى استدعاء هذه المفردات كلما اقترب من الطلل ووقف أمامه، في محاولة لإبقاء المكان حاضرًا ومؤطرًا في تجربته الشعرية(ينظر :سعود،وجلود،٢٠٢١:٩٢).

لقد تجسد المكان في القصيدة الجاهلية بوصفه انعكاسًا مباشرًا للبيئة الصحراوية، غير أنّ أقدس تجلياته يتمثل في الطلل، إذ إن الشاعر يُعبر عن حزنه العميق لفقد الأحبة ومرارة الفراق، وإلى جانب هذا البعد المكاني المادي، يلازم الشاعر بعدا آخر يتمثل في مكانته الرمزية، سواء في قلب محبوبته أو في موقعه الاجتماعي داخل القبيلة. وهكذا يتجاوز المكان عند الشاعر الجاهلي حدود الجغرافيا ليغدو معادلًا وجوديًا لمكانته الاعتبارية، وهو ما يتجلى في تجارب شعراء استطاعوا أن يرسخوا لأنفسهم حضورًا مرموقاً في قبائلهم، بصرف النظر عن كونهم عبيدًا أو فرسانًا أو شعراء(ينظر :خيرة، د.ت:١٣٤). وهذا ما يؤكد فكرة العلاقة التكاملية بين الشخصية والمكان.

كما أنّ العلاقة التفاعلية بين المكان وساكنه تسهم في إبراز حضور المكان داخل البنية النصية، وهو ما يتجلى بوضوح في النص الأدبي بصورة عامة والنص الشعري الجاهلي على وجه الخصوص، غير إنّ اتساع المكان جغرافيًا لا يستلزم بالضرورة اتساعه على المستوى الشعري أو في البنية النفسية للشخصيات، إذ قد يضيق المكان في التجربة الشعرية رغم رحابته المكانية في الواقع(ينظر :حاج عثمان وآخرون،٢٠٢٤:١١٩).

ومن الجدير بالذكر إن العلاقة بين الشخصية والمكان لا تقتصر على ماجرت الإشارة إليه سابقًا، بل تتعدى ذلك بكثير، لتصل إلى التأثير والتأثر؛ فالمكان يعيد تشكيل ملامح الشخصية، فيما تفرض الشخصية حضورها بطابع خاص يتبدل بتبدل الأمكنة(ينظر: وسيلة،ونورة،٢٠٢٣:١٩). فلا

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

يحضر المكان في القصيدة الجاهلية بوصفه شكلاً واقعياً قابلاً للقياس، بل يتجلى كفضاء تخييلي يصوغه الشاعر عبر طاقته الإبداعية، فيحوّله من معطى جغرافي إلى رمز شعري مشحون بالدلالات التي يريد إيصالها، وهكذا يغدو المكان عنصراً دلالياً يتخلل البنية الشعرية، لا مجرد إطار خارجي لها(ينظر: عبد العبدلي،٢٠١٢:١٩٠).

إن المكان في شعر بني تميم في العصر الجاهلي ليس مجرد خلفية، بل هو عنصر فاعل يتداخل مع الشخصية الشعرية، ويسهم في إبراز هويتها، ومشاعرها، ومواقفها، سواءاً كان المكان ديارا يُفخر بها، أم أطلالا يحنّ إليها، أم صحارى تُجتاز، فإنه يُشكل جزءاً لا يتجزأ من البناء النفسي والفني للشخصية التميمية. ويستحيل المكان في تجارب بعض الشعراء إلى مسرح يجسد بطولة الملوك ومجدهم, وهذا ما فعله الشاعر يزيد بن عمرو في قوله: (الطويل) (المعيني،١٩٨٢:٢٥٥)

عَــلَا جــدهم جــد الملــوكِ فــأطْلَقوا بطخفــة أبنــاء الملــوكِ علــى الحكــمِ

وأيهــات مــن أَنقــاضِ قَــاعٍ بقفــرةٍ بــدور أنافــت فِــي السَّــمَاءِ عَلَــى الــنَّجْمِ

يستهل الشاعر نصّه باستدعاء حدث تاريخي/قبلي ذا طابع بطولي، يربط فيه نسب القوم بعظمة الملوك، ويجعل من المكان (طخفة) مسرحًا للبطولة ومجالًا لترسيخ الشرعية والمجد، ومن هذا البعد التاريخي ينتقل السرد إلى فضاء مكاني مجرّد يتمثل في القاع القفر والأنقاض والصحراء، غير أنّ هذا الفراغ لا يُقدَّم بوصفه خواءً، بل بوصفه فضاءً أسطوريًا تعلو فيه "البدور" فوق النجوم. وهكذا يتحول المكان إلى رمز سردي يمنح القبيلة والشخصيات بعدًا أسطوريًا، ويشارك في صياغة صورتها القائمة على الصلابة والسمو والرفعة، تماماً كما تفعل "البدور" في علوّها.

إنّ تقابل الأنقاض والقاع، بما يحيل إلى الفناء، مع صورة البدور المرتفعة، بما تحيل إليه من خلود ورفعة، يخلق توترًا سرديًا يعكس جدلية العلاقة بين الشخصية والمكان: فمن الخراب تستمد الشخصية معنى البقاء، ومن القفر تولّد رمز العظمة، وبذلك لا يُقدَّم المكان في النص بصفته معطى جغرافيًا، بل كفضاء أسطوري ينهض بوظيفة دلالية ترفع الشخصية إلى مصاف المجد والخلود.

"ولا يعد عنصر المكان شكلًا هندسيًا يمكن تأطيره على وفق الحسابات الواقعية، وإنما يكون خاضعا لمتخيل الشاعر الإبداعي وينسجه من الفاظ توحي الى معان يبتغيها الشاعر تتخلل عنصر

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

المكان"(عبد العبدلي،٢٠١٢:١٩٠)، ويتجسد المكان في شعر (تَوْبَة بنُ مُضَرَّس) إذ يقول : (الكامل) (المعيني،١٩٨٢:٧٤)

رَحَلَتْ حَرَامُ عَنِ البِلَادِ فَلَنْ تَرَى ... أُخْرَى المَنُونِ بِهَا وُجُوهَ حَرَامِ

وَلَقَدْ نَرَى بِالجَزْعِ مِنْهُمْ مَجْلِساً ... ضَخْماً ومبركَ جَامَلٍ قَمْقَامِ

أضْحَتْ ديارُ بني أبيكِ كأنَّها ... بالبُرقَتَيْنِ تُخَطُّ بالأَقْلَامِ

فاتْرُكْ بُكاءَكَ فِي الديارِ فَقَدْ قَضَتْ ... عَيْنَاكَ نَحْبَهُمَا مِنَ التَّسْجَامِ

بدأ الشاعر برصد حدث الرحيل، حيث تمثل بقبيلة "حرام" رمزًا مكانيًا وإنسانيًا في آنٍ واحد إذ إن غيابها عن البلاد لا يُفقد المكان ملامحه فحسب، بل يُفقده جوهره الوجداني، فالمكان هنا لا يُعرّف بجغرافية، بل بوجوه من يسكنه، مما يدلل على إن الشخصية ترى المكان امتدادًا للذات. ثم يستحضر الشاعر مجلسًا ضخمًا كان يحتضن رموزًا اجتماعية ("جاملٍ قَمْقَامٍ")، في إشارة إلى المكان بوصفه حاضنًا للهوية القبلية والكرم والسلطة، وهذا التوظيف المكاني يعكس كيفية استعادة الشخصية ماضيها من خلال تضاريس المكان. ويتجلى التحول المكاني من فضاء حي نابض إلى أثر بصري أشبه باللوحة أو الكتابة، فتشبيهها بـ"تُخَطُّ بالأقلام" يوحي بجمود المكان، وكأن الحياة فيه توقفت، ولم يبقَ سوى أثرها. وهذا التحول يعكس انكسار الذات أمام الزمن، حيث يصبح المكان شاهدًا على الفقد لا موطنًا للانتماء. ويمثل البيت الأخير ذروة التحول النفسي، حيث يدعو الشاعر إلى تجاوز الحزن المرتبط بالمكان "الديار" فهي ليست مجرد مساكن، بل هي رموز لفقد الأحبة، ومع ذلك، فإن الدعوة لترك البكاء تشير إلى محاولة الذات استعادة توازنها، والانتقال من الحزن إلى القبول، مما يعكس تطورًا في علاقة الشخصية بالمكان من التعلق إلى التحرر. وفي بعض الأحيان يحصل التضاد بين الشاعر والمكان لاسيما إذا كان المكان هو مكان واد أو غير اليف.

المكان الأليف فضاء حميمي، يمنح الشخصية شعورًا بالانتماء والطمأنينة، ويصبح امتدادًا للذات، حيث تتماهى الشخصية مع ملامحه وتراه انعكاساً لهويتها وذاكرتها الجمعية مما يبعث على الاستقرار ويغذي الحنين، ويُستعاد بوصفه رمزًا للهوية والدفء الاجتماعي، فعند ذكر الشاعر

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

للمجلس الذي يحتضن رموز القبيلة، يتجسد المكان كحاضن للقيم والكرم والسلطة، فيغدو جزءًا من الذاكرة الجماعية للشخصية. أما المكان المعادي فهو فضاء غريب أو غير مألوف، يثير القلق أو النفور، ويضع الشخصية في مواجهة مع الزمن والفقد، ويُحيل إلى الانكسار والاغتراب الذي يولّد شعورًا بالعزلة أو الانفصال، ويُفقد الشخصية توازنها، إذ يتحول من موطن للانتماء إلى شاهد على الغياب، فتشبيه المكان بالكتابة الجامدة بدلالة قوله:"تُخَطُّ بالأقلام"، حيث يفقد حيويته ويغدو أثرًا بصريًا بلا حياة، فينعكس ذلك على انكسار الذات أمام الزمن.

"فالمكان في التجربة الشعرية ليس مجرد إطار خارجي أو خلفية صامتة، بل هو كائن نابض بالحياة، يتنفس مع الشخصية ويتقاسم معها لحظات الحنين، الفقد، والتجاوز. إنه ليس منفصلًا عنها، بل يتداخل معها حتى يصبح امتدادًا لوجدانها، مرآة لحالاتها النفسية، ومسرحًا لتحولاتها الداخلية. وفي الشعر العربي القديم، لا يظهر المكان كحيز جامد تتحرك فيه الشخصيات، بل يتجاوز ذلك ليغدو مركزًا دلاليًا يحمل في طياته أبعادًا اجتماعية، عاطفية، وتاريخية. كما إنه ليس مجرد مساحة، بل لغة ثانية تعبّر عن الإنسان، وتكشف عن عمق العلاقة بينه وبين محيطه، حتى يصبح المكان ذاته وسيلة للتعبير، وإشارة إلى المعنى الذي يسكن النص"(الشيخ،٢٠٢١:١٢٨).

وفي أبيات لـ(زَيْدُ بن عمرو) تحمل طابعًا نقديًا حادًا تجاه المكان، وتُعبّر عن موقف وجودي متوتر بين الشخصية والمحيط المكاني، يقول فيها: (الطويل) (المعيني،١٩٨٢:٢٥٦)

لَـيْسَ بِيَرْبُـوعٍ إِلَـى العَقْـلِ حَاجَـةٌ ... وَلَا دَنَـسٌ تَسْـوَدُ مِنْـهُ ثِيَابُهَـا

فَـلَا تُلْحِمُونَـا بِالـدِّيَارِ فَإِنَّهَـا ... حَـرَامٌ عَلَيْنَـا دِرُّهَـا وَاحْتِلَابُهَـا

وَإِنَّ ابـنَ عَـمِّ المَـرْءِ خَيْـرٌ مِـنَ التـي ... تَبِيـتُ تعـاوى بـالفَلَاةِ سِـقَابُها

وَمَـا وَقْعَـةُ القَرعَـاءِ مِـنْ ظُلْـمِ قَوْمِنَـا ... بِبِـدْعٍ وَلَا شَـيءٍ يَشِـينُ عِقَابُهَـا

تعلن الشخصية استقلالها عن المكان، وتُعيد تعريف نفسها خارج حدوده. إذ تتحول العلاقة بين الشخصية والمكان من الانفصال إلى التحريم، بدلالة كلمة "حرام" وهي دلالة رمزية، وكأن المكان لم يعد مجرد فضاء غير مرغوب فيه، بل أصبح لا يجوز الاقتراب منه، و استعارة "درّها واحتلابها" تُحيل إلى صورة الأمومة والخصوبة، لكن الشاعر يقلبها إلى نقيضها، مما يُظهر أن المكان فقد قدرته على العطاء، وتحول إلى مصدر للخذلان؛ لأن الشخصية تعلن قطيعتها مع

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

المكان عبر لغة التحريم والخذلان، لتؤكد أن الفضاء المكاني لم يعد حاضنًا للهوية أو العطاء، بل تحول إلى رمز للفقد والخذلان، مما يعكس انتقال الذات من التعلق بالمكان إلى التحرر منه عبر رفضه وإقصائه.

وفي سياقٍ متصل يحاول الشاعر أن يعيد ترتيب أولوياته، حيث يُفضّل القرابة الإنسانية على العلاقة بالمكان، فكلمة "السقاب" التي ترمز إلى الوحدة والضياع، في مقابل "ابن العم" الذي يُجسّد الأمان والانتماء، هذا من جانب، وفي جانب آخر الشاعر يُعيد تأطير المكان من خلال حدث تاريخي (وقعة القرعاء)، حيث يُبرّر الفعل المكاني غير شائن ولا مبتدع وهذا التبرير يُسبغ على المكان طابعًا سياسيًا وتاريخيًا، ويُظهر كيف أن الشخصية تُعيد تشكيل علاقتها بالمكان.

"إن المكان المتلمس في المتن الشعري ليس المكان المتلمس في الفن الروائي المحدد بالأبعاد والأحجام، إنما هو الذي يكون ماثلا بتفاصيله، أو قادما من معايشة سابقة عن طريق القناة الارتجاعية المرتبطة بالذاكرة والمخزون الذهني. وفي هذه الحالة يمكن أن يسهم الخيال في إعادة بناء تشكيل الصورة المكانية التي تهمشت بفعل التقادم والمؤثرات الطبيعية"(فوغالي،٢٠٠٨:١٧٧).

ويتشكل المكان في التجربة الإبداعية بوصفه نتاجًا لتفاعل الشاعر مع ما عاشه وعايشه، سواء عبر مستوى اللحظة الآنية بما تحمله من تفاصيل ومعالم محسوسة، أو عبر مستوى التخييل بما يرفده من صور وظلال متخيلة. وهكذا يغدو المكان فضاءً يتداخل فيه الواقعي والمتخيل، ليعكس تجربة الشاعر ويمنح النص أبعاده الجمالية والوجودية(ينظر:فوغالي،٢٠٠٨:١٨١). وهذا ما نجده واضحا في أبيات (عُبَيْدُ بنُ وَهْب)، في قوله: (الطويل) (المعيني،١٩٨٢:٨٧)

تَـــذَكَّرْتُ هِنْـــداً لَاتَ حِـــينَ تَـــذَكَّر ... تَـــذَكَّرْتُهَا وَدونَهـــا سَـــيْرُ أَشْـــهُرِ
حِجَازِيَّـــةٌ عُلَوِيَّـــةٌ حـــلَّ أَهْلُهَـــا ... مَصَـــابَ الخَرِيـــفِ بَـــيْنَ زَوْرٍ وَمَنـــورِ
أَلَا هَـلْ أَتَـى قَـوْمِي عَلَـى النَـأْيِ أَنَّنِـي ... حَمَيْـتُ ذِمَـارِي يَـوْمِ بَـابِ المُشَـقَّرِ
ضَـرَبْتُ رِتَـاجَ البَـابِ بالسَّـيْفِ ضَـرْبَةً ... تَفَـرَّجَ مِنْهَـا كُـلُّ بَـابٍ مُضَـبَّرِ

يتجلى المكان في هذا النص الشعري بوصفه بنية سردية متعددة الوظائف: فهو مرآة للذات، ومؤشر على الانتماء، ومسرح للفعل، ويبرز التوظيف، تداخل الشخصية والمكان في علاقة تكاملية، ويُعاد تشكيل كل منهما عبر الآخر. والمكان في هذه الأبيات ليس مجرد خلفية سردية، بل هو رؤية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

وجدانية تتجاوز الحدود الجغرافية لتغدو رمزًا داخليًا يعكس تحولات الذات، ويُعيد بناء التجربة الشعرية من خلال التوتر بين المكان والزمن العاطفي. ويمكن القول: إنه يشكّل البناء العاطفي الذي تتكئ عليه الذات الشعرية في استدعاء الذكرى، وتأكيد الهوية، واستعراض البطولة ففي قوله "**تذكرت هندًا لات حين تذكر** "يكشف عن حالة فقدٍ عاطفي، حيث يأتي التذكر في غير أوانه، مما يعكس حزنًا على ما مضى، مما يسبغ على الذكريات طابعًا مأساويًا، (هند) هنا ليست مجرد امرأة، بل رمز لفقدٍ أوسع: فقد الحبيبة، وفقد الزمن، وربما فقد الذات في لحظة التهشم الداخلي. وقوله "**ودونها سير أشهر**" تجسيد للانفصال الداخلي، ويغدو المكان فضاءً لتمثّل الذات، إذ تستحضر فيه لحظة مجدٍ غابر، وكأن الشخصية تحاول أن تتجاوز حزنها أو تصلح ما تحطم بداخلها، بتفاعلها مع المكان بطريقة رمزية وملموسة تمنحها شعورًا جديدًا بالحياة وتعيد لها إحساسها بالقيمة بدلالة قوله:"**يوم باب المشقر** "و"**ضربت رتاج الباب** ". "فالمكان، أذن لم يعد بهذه الصفة الوظيفة وعاء يحوي جملة من الأحداث سطرها الماضي، أو سارية الحدوث في الحاضر، إنما صار وعيًا فكريًا، ونفسيًا، واجتماعيًا، ووجدانيًا، يتفاعل مع الذات والجماعة، ويبرز بأشكال ومستويات متعددة، حسب الرؤية المستقطبة لتمثله"(فوغالي،٢٠٠٨:١٨١). وهذا ما نجده واضحا أيضًا في أبيات (المُخَبَّلُ السَّعْدِي) ،إذ يقول: (الطويل) (المعيني،١٩٨٢:١١٦)

عَفَا الرَّوْضُ بَعْدِي مِنْ سُلَيْمَى فَحَائِلُهْ ... فَبَطْنُ عِنانٍ رَوْضُهُ فأفاكِلُهْ

فَرَوْضُ القَطَا بَعْدَ التَّسَاكُنِ حِقْبَةً ... فَبِلْوٌ عَفَتْ بَاحَاتُهُ فمسايِلُهْ

فَمِيثُ عُرَيْنَاتٍ بِهَا كُلُّ مَنْزِلٍ ... كَوَشْمِ العَذَارَى مَا يُكَلَّمُ سَائِلُهْ

وَتَمْشِي بِهِ عَيْنُ النِّعَاجِ كَأَنَّهَا ... نَبِيطٌ تُوَافِي الْحَجَّ حَانَتْ مَنَازِلُهْ

يفتتح الشاعر نصه بـ "**عفا الروض بعدي من سُليمى**"، وهي عبارة تحمل في طياتها على دلالة الفقد والغياب، حيث يُستحضر المكان بوصفه شاهدًا على علاقة عاطفية مضت، فـ"الروض" لم يعد كما كان، وقد غادرته "سُليمى"، مما يحوّله إلى فضاءٍ خاوٍ من الحياة، لكنه ممتلئ بالذكريات ،إذ لا يُنظر إلى المكان بوصفه جغرافيًا فحسب، بل كوجود حيّ يتفاعل مع الذات، ويحتفظ بأثرها. وفي قوله "**فبطْنُ عنانٍ روضُه فأفاكِلُه**"، يُظهر الشاعر قدرة المكان على التشكل على وفق الحالة النفسية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

للذات، فـ"بطْن عنان" لا يُوصف إلا من خلال معالمه الجغرافية، وكأن الشاعر يُعيد تشكيله عبر اللغة، ليعكس امتزاجه الوجداني معه ، وهذا الوصف يُبرز كيف أن المكان ليس مجرد خلفية للأحداث، بل هو امتداد للذات، يتنوع بتجربتها ويُعيد إنتاجها. وفي قوله "**فرَوَّضَ القطا بعد التساكن حقبةً**"، يظهر المكان وقد مرّ عليه زمن طويل من السكون، ثم عاد إليه الطير، وكأن الحياة تعود بعد انقطاع. وهذا التغير الزمني يُسبغ على المكان طابعًا مأساويًا، ويُحيل إلى شعور بالاغتراب، و لم يعد المكان كما عهدته الذات، بل تغيرت ملامحه، مما يعمّق الإحساس بالفقد والانفصال. وقوله (كوشم العذارى ما يُكلم سائله) يُجسَّدُ المكان بوصفه تجسيد جمالي، يحمل أثرًا لا يُمحى، لكنه صامت، لا يُفصح عن ذاته. وهذا التشبيه يُسبغ على المكان طابعًا أنثويًا، ويُعزز فكرة أن المكان يحتفظ بالذكرى، لكنه لا يُفصح عنه إلا لمن يملك القدرة على الوعي الداخلي.

في البيت الأخير (وتَمشي به عين النعاج كأنها نَبيطٌ تُوافي الحج)، يستحضر المكان بوصفه طريقًا للتنقل، ومقامًا رمزيًا للذات، حيث تتحرك (النعاج) كما لو أنها في طقس ديني، مما يُسبغ على المكان قدسيةً رمزية، ويُحول الرؤية الطبيعية إلى تجربة روحية، تُعزز التفاعل بين الذات والمكان.

وبطبيعة الحال لقد اضطلع المكان منذ القدم بدور أساسي في حياة الإنسان، إذ أسهم في تشكيل وجدانه وصياغة هويته عبر مسميات خاصة تركت أثرها في أنماط تحركاته وسكناته. وقد تجلى هذا الدور بوضوح في التجربة الأدبية، حيث يمتلك الأديب القدرة على إعادة إنتاج المكان وإكسابه طاقة متجددة تسمح له بالاستمرار والتواصل عبر العصور. ومن ثمّ، يصبح المكان في الإبداع الأدبي ليس مجرد إطار خارجي، بل عنصرًا فاعلًا في صياغة التجربة الإنسانية وإعادة تشكيلها ضمن رؤية جمالية ووجودية متجددة(ينظر: فوغالي،٢٠٠٨:١٨١).

وتجدر الإشارة إلى الدور الكبير الذي يؤديه المكان في النص الشعري، فهو لا يأتي منفصلًا عن باقي العناصر، بل يتفاعل معها، لاسيما مع الشخصية. وإذا استطاع الشاعر أن يصوّره بشكل واقعي وواضح، فإنه يصبح وسيلة فاعلة لإبراز ملامح الشخصيات. فالمكان لا يكتفي بأن يكون مجرد خلفية، بل يمنح من يعيش فيه صفات خاصة تنبع من طبيعته، لأن لكل مكان طابعه الذي ينعكس على من يسكنه(ينظر: سلمان،٢٠١٢:١٨٦).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

تبرز أبيات (الزِّبْرِقانُ بنُ بَدْر) المكان ليس كعنصر ثانوي، بل هو **علاقة دلالية** تتفاعل معها الشخصية الشعرية على مستويات متعددة: الوجود، والهوية، والصراع، والسلطة. إنه مكان يُستعاد فيه المجد، وتتجدد فيه صياغة الذات الجمعية، مما يجعل العلاقة بين الشخصية والمكان علاقة **تأسيسية**، تُنتج المعنى وتُفعّل السرد، فيقول: (الطويل) (ديوانه، ١٩٨٤: ٥٠)

أتينـــاكَ كيمـــا يعلـــم النـــاسُ فَضْـــلَنَا ... إذَا احْتَفَلُـــوا عِنْـــدَ احتضـــارِ المواســـمِ
بأنَّـــا فـــروع النـــاس فـــي كـــل مـــوْطنٍ ... وَأن لـــيس فـــي ارضِ الحجـــاز كـــدارمِ
وَانـــا نـــذُود المُعَلّمِـــينَ إذَا انْتَخَـــوْا ... وَنَضْـــرِبُ رَأْسَ الأصْـــيَدِ المُتَفَـــاقِمِ
وَأَنَّ لَنَـــا المِرْبَـــاعَ فِـــي كـــل غـــارةٍ ... نُغِيـــرُ بَنَجْـــدٍ أَو بـــأَرْضِ الأَعَـــاجِمِ

هذه الأبيات تنتمي إلى شعر الفخر القبلي، إذ يتحدث الشاعر فيها بلسان جماعته (قبيلة دارم)، ويعرض مآثرها في الحرب، السلطة، والكرم. والشخصية هنا ليست فردًا، بل تمثيل جماعي لهوية قبلية متجذرة في التاريخ والمكان. ففي قوله(اتيناك كيما يعلم الناس فضلنا) هنا يتحول المكان إلى مسرح تُعرض فيها مآثر القبيلة، وكأن المكان هو شرط لظهور الشخصية وتفعيل سرديتها البطولي (بأنا فروع الناس في كل موطن) نجد الشخصية الشعرية تتداخل مع المكان، وتمتزج معه، مما يدل على أن المكان ليس مجرد خلفية، بل هو **امتداد للذات الجمعية**، فيعكس انتشارها وتأثيرها. وقوله (ونذود المعلمين إذا انتحوا) إذ يتحول المكان فيها إلى **ساحة صراع**، حيث تُمارَس القوة وتُثبت السيادة. والشخصية لا تتفاعل مع المكان، بل تُعيد تشكيله من خلال فعل جسدي رمزي (الذود، والضرب)، وهو ما يمنحها حضورًا فاعلًا. أما قوله (وأن لنا المرباع في كل غارة) ففي هذا البيت يربط المكان بالمكسب المشروع، ويُرسّخ مكانتها بوصفها صاحبة اليد العليا. (المرباع: ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية).

"إذ إن المكان بهذا المفهوم ينتقل مع الأديب، وتتناسق خيوطه تبعا لرؤيته وتفاعلاته الوجدانية مع مختلف العلائق الخارجية التي تثيرها الظروف والأحوال"(فوغالي،٢٠٠٨: ١٨٢).

ولهذا ظل المكان، ولا يزال، يشكّل هاجسًا محوريًا في التجربة الإبداعية، بما يمتلكه من قدرة على شدّ الأديب إلى منبته الأول واستدعاء جذوره. فهو يحمل نكهة خاصة وسحرًا مميزًا يولّد لدى الأديب إحساسًا متفردًا، يجعله يعيش حالة من الانتشاء والانفعال العاطفي كلما استعاد جانبًا من

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

المشهد المكاني الغائر في أعماق ذاكرته. ومن ثمّ، يغدو المكان عنصرًا فاعلًا في تشكيل الوجدان الأدبي، إذ يربط بين الماضي والذاكرة، ويمنح النص أبعاده الشعورية والرمزية(ينظر: فوغالي،٢٠٠٨:١٨٢).

وتُجسد أبيات لـ(عُمَيْرَةُ بنُ طَارق) المكان بوصفه عنصرًا سرديًا ونفسيًا، يتمازج مع الشخصية ويعكس تحولات الذات. فالرحلة ليست مجرد تنقل، بل هي سرد لإحساس داخلي، والمكان يصبح وسيطًا للتعبير عن الحزن، والخوف، والحنين، مما يجعل العلاقة بين الشخصية والمكان علاقة متبادلة وعميقة، تتعدى الوصف إلى الكشف عن مكنون الذات. فيقول: (الطويل) (المعيني،١٩٨٢:٢٢٠،٢٢١)

فَكَلَّفْتُ مَا عِنْدِي مِنَ الهَمِّ نَاقَتِي ... مَخَافَةَ يَوْمٍ أَنْ أُلَامَ وَأَنْدَمَا
فَمَرَتْ بِجَنْبِ الزوْرِ ثَمَّت أَصْبَحَتْ ... وَقَدْ جَاوَزَتْ بِالأَقْحُوَانَاتِ مخرَمَا
كَأَنَّ يَدَيْهَا إذا أَجَدَّ نَجَاؤُهَا ... يَدَا مُعْوِلٍ خَرْقَاءَ تُسْعِدُ مَأْتَمَا
تُرَائِي الذينَ حَوْلَهَا وَهِيَّ لبُّهَا ... رَخِيٌّ وَلَا تَبْكِي لِشَجْوٍ فتُلْمِمَا
وَمَرَّتْ عَلَى وَحْشِيِّهَا وَتَذَكَّرَتْ ... نَصِّياً وَمَاءٌ مِنْ عَبِيَّةَ أَسْحَمَا

يُوظّف الشاعر صورة الناقة بوصفها وسيطًا رمزيًا بين الذات والمكان، حيث يبدأ بتكليفها حمل همّه، في إشارة إلى أن المكان ليس خيارًا حرًا، بل مهربًا من ضغط نفسي يثقل الشخصية. ومن ثمّ تتحول الناقة إلى أداة انتقال، تدفع بالشخصية نحو فضاء جديد، بما يضفي على المكان طابعًا نفسيًا متداخلًا مع التجربة الشعورية.

ويعمد الشاعر إلى تحديد مسار الناقة عبر أماكن بعينها مثل: الزور، والأقحوانات، والمخرم، وهي ليست مجرد أسماء جغرافية، بل محطات سردية ترسم رحلة الهروب من الهم، وتكشف عن تطور الحالة النفسية للشخصية من القلق إلى التخفيف التدريجي. بدلالة قوله: (كأن يديها إذا أجدّ نجاؤها يدًا معولٍ خرقاء تسعد مأتما)، حيث يشبّه حركة الناقة بيد امرأة مرتبكة، في صورة تجمع بين الألم والارتباك، مما يعكس تداخل المكان المتحرك مع الشعور الداخلي.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الأربعون
٢٠٢٦م/١٤٤٧هـ

كما يبرز البعد النفسي، إذ تبدو الناقة للآخرين هادئة، بينما تحمل في داخلها حنينًا مكتومًا، وهو انعكاس لحالة الشاعر الذي يظهر متماسكًا خارجيًا لكنه مثقل بالهموم داخليًا، مما يجعل المكان مرآة للحالة الشخصية، بدلالة قوله: (ترائي الذين حولها وهي لبّها رخي ولا تبكي لشجو فتألما).

وفي المقطع الأخير، يستدعي الشاعر أماكن من الذاكرة مثل: نصيًا، عيبة، أسحم، وهي فضاءات ترتبط بالطفولة والحنين، وتشكل رموزًا للأمان. إن توالي أسماء هذه الأمكنة يمنح التجربة الشعرية طابعًا واقعيًا، ويؤكد صدق الشعور، كما يبيّن أن الحزن لا يتوقف عند حدّ، بل يتشعب بتشعب المساحات. وهكذا يتحول المكان إلى ذاكرة مستدعَاة، وملاذ نفسي يعمّق العلاقة بين الشخصية والمكان، بوصفها علاقة وجدانية وسردية في آن واحد.

لقد استمد الشاعر التميمي أحاديثه عن المكان من خلفيات الدواعي والأسباب التي كانت تدفعه دفعا إلى إعادة تشكيله، والاعتزاز بذكره ذكرا عابرا، أو تنويها، أو فخرا راسخا في كيانه(ينظر: فوغالي،٢٠٠٨:١٨٤). فالمكان قد يُذكر عرضًا، لكنه في ذلك الذكر العابر يُضمر شحنة وجدانية كثيفة، وقد يُستدعى تنويهًا أو فخرًا، فيغدو تجسيدًا لقيم القبيلة، ومجالًا لتأكيد الانتماء والبطولة. ونجد ذلك واضحا في أبيات لـ(عُقبة بن حوط)، يقول فيها: (المنسرح) (المعيني،١٩٨٢:٢٣٣)

أُقِيمَ بِالدَّارِ مَا اطْمَأَنَّتْ بِي ... الدَّارُ وَإِنْ كُنْتُ نَازِعاً طَرَبَا
وَإِنْ بِأَرْضٍ نَبَتْ بِي الدَّارُ ... فَعَجلَتْ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا القَرَبَا
لا سَافِحٌ مِنْ سَوَافِحِ الطَّيْرِ ... يَثْنِينِي وَلَا نَاعِبٌ إِذَا نَعَبَا

في البداية يظهر التناقض بين فعل الإقامة (أُقيم) وبين غياب الطمأنينة، مما يكشف عن خلل في العلاقة بين الشخصية والمكان، فالشخصية تقيم في الدار، لكنها لا تجد فيه السكينة، مما يولد اغترابًا داخليًا، على عكس ما هو مألوف بأن الدار تكون موطنًا للسكينة والاطمئنان. وفي قوله: ("وَإِنْ كنْتُ نَازِعَا طَرَبا) يُظهر الشاعر أن الشخصية تحمل في مكنوناتها مشاعر شوق وطرب، لكنها لا تجد صدى لها وهذا يبرز البعد العاطفي للعلاقة، حيث المكان لا يتفاعل مع وجدان الشخصية، بل يبقى جامدًا، وهو بدوره يولد الإحساس بالوحدة. وفي البيت الثاني يُعيد الشاعر تشكيل المكان سرديًا بوصفه كيانًا حيًّا يختار الانتماء ويسعى الى القرب من غير أهله، لكنه لا يختار الشخصية، مما يخلق شعورًا بالانتباذ وخيبة الأمل. أما البيت الأخير فتُظهر الشخصية أنها لا تتأثر بنداءات

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

الطير، ولا تهتم لصوت النعيب، مما يوحي بعزلة داخلية أو رفض للتأثر بالمحيط، وكأن الشخصية قد انسحبت من كل أشكال التواصل بدلالة قوله:(لا سافحٌ مِنْ سَوَافِحِ الطَّيْرِ / يُثْنِينِي وَلَا نَاعِبٌ إِذَا نَعَبَا).

وإن أهم ما يميز الشاعر التميمي خاصة،و الشاعر الجاهلي عامة، هو ارتباطه بالبيئة التي أنتجته، ووسمت شعره بسياقها الواقعي. فغدا مرآة نرى من خلالها ملامح، ومظاهر بيئته الاجتماعية، بكل تنوعها ومستويات التجلي فيها(ينظر: فوغالي،٢٠٠٨:٢٠٦). وهذا ما نجده واضحًا في أبيات لـ(مصاد بن جناب)،يقول فيها : (الطويل) (المعيني،١٩٨٢:٢٤٠)

وَمَا رَغْبَتِي فِي آخِرِ العَيْشِ بَعْدَمَا ... أَكُونُ رَقِيبَ البَيْتِ لَا أَتَغَيَّبُ

إِذا مَا أَرَدْتُ أَنْ أَقُومَ لِحَاجَةٍ ... يَقُولُ رَقِيبٌ حَافِظٌ أَيْنَ تَذْهَبُ ؟

فَيَرْجِعُهُ المَرْمَى بِهِ عَنْ سَبِيلِهِ ... كَمَا رَدَّ فَرْخَ الطَّائِرِ المُتَرَبِّبُ

تحول المكان في هذه الأبيات من مجرد بيت بل يحمل دلالة رمزية تدل القيد والرقابة، وتنعكس هذه العلاقة على الشخصية التي تعاني من فقدان الحرية والانطلاق. والبنية السردية تقوم على تصوير الصراع الداخلي، حيث تتفاعل الذات مع المكان في إطار يرفض الضيق والانكسار، مما يجعل المكان ذا دور فعالًا في تشكيل التجربة النفسية للشخصية. ففي قوله: (وما رغبتي في آخر العيش بعدما/ أكون رقيب البيت لا أتغيب) يبدأ الشاعر برفضه لرغد العيش إذا كان الثمن هو أن يصبح رقيبًا ملازمًا للبيت، أي أن المكان هنا يتحول من ملاذ إلى سجن رمزي. فالشخصية تتقاطع مع المكان مما يخلق توترًا سرديًا بين الرغبة والاضطرار. ويتجلى المكان بوصفه فضاءً مقيدًا للذات، حيث يُحاصر الشاعر في كل حركة ويُسأل عن مقاصده، كما في قوله:(إذا ما أردت أن أقوم لحاجة يقول رقيب حافظ أين تذهب؟) هذا الاستجواب المستمر يعكس فقدان الحرية الشخصية، ويؤسس لبنية سردية داخلية قائمة على الرفض والضيق، بما يشي بأزمة وجودية تتجاوز حدود المكان المادي لتلامس البعد النفسي للشخصية.

أما في قوله:(فيرجعه المرمى به عن سبيله كما رد فرخ الطائر المتربب)، فإن التشبيه بفرخ الطائر الذي يُمنع من الطيران يرمز إلى القيد والحرمان من الانطلاق، في صورة سردية مكثفة تكشف عن شعور بالعجز والارتباك أمام سلطة المكان. هنا يتحول المكان من فضاء محايد إلى قوة قسرية تعيد

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

تشكيل مسار الشخصية، وتفرض عليها التوقف والإذعان. فمن خلال ماتقدم يمكننا القول المكان في هذه الأبيات ليس مجرد إطار خارجي، بل سلطة مهيمنة تُمارس فعل المنع والرقابة، مما يرسخ البنية السردية القائمة على القيد والإجبار. وبهذا يغدو المكان عنصرًا فاعلًا في تكوين الأزمة الوجودية للشخصية، إذ يحدّ من حركتها ويحوّل تجربتها الشعورية إلى صراع بين الرغبة في الانطلاق والواقع المفروض بالقسر. و إن الرحلة في النص الشعري وسيلة أساسية تمنح الشخصية إمكانية تجاوز الهموم والابتعاد عن مواطن الضيق والألم، كما تتيح للشاعر فضاءً تعبيرياً جديداً يعبّر من خلاله عن قضايا متعددة. وبهذا تتحول الرحلة إلى بنية سردية ونفسية في آن واحد، فهي ليست مجرد انتقال مكاني، بل فعل وجودي يفتح أمام الذات أفقاً للتخفف من الأعباء الداخلية، ويمنحها قدرة على إعادة صياغة تجربتها ضمن سياق إبداعي متجدد(ينظر:المشلب،٢٠١٠:١٣١)

و إن الإقامة في المكان تتسبب أحيانًا في ضعف الشخصية، أو فقرها أو اضطهادها، أو قد تؤدي إلى الملل من الحياة بسبب الروتين المعيشي، لذا تسعى الشخصية إلى تنويع المكان من خلال الرحلة، لتمنح نفسها فرصة التجديد والتحول(ينظر:المشلب،٢٠١٠:١٣٣)

وفي أبيات لـ(قيس بن عاصم) كشفت عن تفاعل الشخصية والمكان، حيث جرى توظيف المكان بوصفه شاهدًا على العجز، ووسيلة لتقويض صورة الآخر، من خلال تمثيل المكان في خطاب الهجاء، بوصفه أداة لإعادة إنتاج السلطة الشعرية، وتشكيل الهوية في سياق التنافس القبلي، يقول فيها: (السريع) (المعيني،١٩٨٢:١٦٠)

مـــا فـــي بَنِـــيَ الأهَـــتَمَ مِـــنْ طَائِـــلٍ يُرْجَـــى وَلَا خَيْـــرٍ لَـــهُ يَصْـــلُحُونْ
قُـــلْ لِبَنَـــي الحَيْـــرِيّ مَخْصُوصَـــةً تُظْهِـــرُ مِـــنْهُمْ بَعْـــضَ مـــايَكْتُمُونْ
لـــولا دِفَـــاعِي كُنْـــتُمُ أُعْبُـــدَاً مَسْـــكَنُهَا الحِيْـــرَةَ فالسَّـــيْلَحُونْ

ففي هذه الأبيات، يُستدعى المكان بوصفه حاضنًا للهوية القبلية، لكنه يُعاد تشكيله شعريًا ليعكس الانحدار والضعف، فـ"الحيرة" و"السيلحون" لا يُذكران بوصفهما مواضع جغرافية، بل يُحمّلان صفات الجماعة المهجوة، ويُقدّمان كمكانين للذل والعبودية، ومن هنا يظهر التلازم بين الشخصية والمكان، إذ من خلال هذين المكانين استطاع الشاعر أن ينعت القوم بهذه الصفة ليكون المكان علامة دالة على فهم ووعي، وبما أن الذل والعبودية من الصفات التي تلتصق بالشخصية فالشاعر

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

كان بارعًا في التوظيف، وقد حاول أن يُظهر كيف يُعاد إنتاج المكان شعريًا ليخدم غرضًا هجائيًا، ويُكرّس صورة الجماعة بوصفها غير جديرة بالاحترام أو الانتماء. والذات هنا لا تكتفي بالهجاء، بل تُمارس سلطة رمزية على المكان، وتُعيد تعريفه من خلال موقعها فيه، مما يُسبغ على النص طابعًا من الهيمنة والتفاخر، و يُستدعى المكان بوصفه مرآة لهوية الجماعة المهجوة، مما يُسقط صفات المكان على الشخصية القبلية، وتُقدّم الذات الشعرية نفسها كفعل مهيمن أنقذهم من هذا المصير، فتحول المكان إلى أداة لإبراز التفوق الذاتي وتحقير الآخر، مما يعكس تفاعلًا شعريًا حادًا بين الشخصية والمكان بوصفه حاملاً دلاليًا للانتماء أو الانكسار.

وتأسيساً على ذلك فإن المكان في شعر بني تميم أتضحتْ أبعاده وتجلياته من خلال تأثير الذكريات المترسبة في مرجعية شعرائهم الوجدانية، والفكرية، والاجتماعية،فمن خلال مشاعرهم وتجارب حياتهم، تظهر الأماكن التي عاشوا فيها طفولتهم وشبابهم وكأنها شاهدة على تلك الذكريات الجميلة. أما أفكارهم، فهي تحمل في طياتها الحزن والأسى تجاه من رحلوا وغابوا عن حياتهم، وفي علاقاتهم الاجتماعية، نلمس تعبيرهم عن الحزن والرثاء، وأحيانًا الهجاء، إلى جانب الفخر والاعتزاز بأهلهم وإنجازاتهم في أيام شبابهم(ينظر: فوغالي،٢٠٠٨:١٨٣)

يتضح من خلال ما سبق أن العلاقة بين الشخصية والمكان ليست علاقة سطحية أو عابرة، بل هي علاقة جدلية عميقة تتأسس على التفاعل المتبادل بين الطرفين. فالمكان لا يُعد مجرد إطار خارجي تتحرك فيه الشخصية، بل هو عنصر فاعل يسهم في تشكيل ملامحها النفسية والاجتماعية والفكرية، ويؤثر في مسارها وتوجهاتها. وفي المقابل، تمنح الشخصية المكان دلالاته الرمزية وتعيد إنتاجه على وفق رؤيتها وتجربتها الخاصة، مما يجعل المكان فضاءً حيًّا نابضًا بالمعنى.

إن استجلاء هذه العلاقة يكشف عن أن المكان في النصوص الشعرية، لاسيما في شعر بني تميم، ليس مجرد خلفية جامدة، بل هو كيان متحوّل يتلون بانفعالات الشخصية ويعكس صراعاتها الداخلية، كما يسهم في إبراز أبعادها الإنسانية. ومن هنا، فإن دراسة الشخصية بمعزل عن المكان تُفقد البحث جزءًا مهمًا من ثرائه، والعكس صحيح.

وعليه، فإن فهم النص الأدبي يتطلب النظر إلى الشخصية والمكان بوصفهما عنصرين متكاملين، يتبادلان التأثير والتأثر، ويشكلان معًا نسيجًا دلاليًا وجماليًا يثري التجربة القرائية ويعمّقها.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

الخاتمة:

١- المكان عنصر بنيوي لا يمكن تجاوزه حيث أثبتت الدراسة أن المكان ليس مجرد خلفية للأحداث، بل هو مكوّن أساسي في البنية السردية والشعرية، يحدد طبيعة التجربة الأدبية ويكشف عن أبعادها الوجودية والجمالية.

٢- تتضح العلاقة العضوية بين المكان والشخصية من خلال تفاعله مع الشخصية وتأثيره في سلوكها وحالتها النفسية، بحيث يصبح جزءًا من تكوينها الداخلي، ويشارك في رسم ملامحها وتطورها داخل النص.

٣- المكان في الشعر، يغدو انعكاسًا لوجدان الشاعر وتجربته الوجودية، فيكشف عن رؤيته للعالم ويترجم انفعالاته وهويته، مما يمنحه بعدًا رمزيًا يتجاوز حدود المادي إلى فضاء دلالي أعمق.

٤- يعد المكان إطارا لتشكل الحدث وتطور الزمن ولا يمكن تصور حركة الشخصيات أو تبدل الأزمنة خارج حدود المكان، مما يجعله محورًا أساسًا في بناء النص السردي، وشرطًا لحدوث الفعل الأدبي.

٥- لا تقتصر علاقة المكان على وظيفته السردية، بل تسهم في تشكيل رؤية الأديب للعالم، وتمنح النص أبعاده الجمالية عبر التماهي بين الإنسان وفضاءه المكاني.

٦- أسهم المكان في بناء الفضاء النصي من خلال علاقته العضوية بالشخصيات والأحداث، فأصبح عاملًا مهيمنًا في تشكيل ذلك الفضاء ، بما يعزز تماسك البنية الأدبية ويعمّق دلالاتها.

المصادر والمراجع:

١- إبراهيم، عبد الله. البناء الفني لرواية الحرب في العراق (دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة). دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٩٨٨م.
٢- أوويمي، معروف راجي؛ حاج عثمان، رحمة؛ بن أحمد، محمد أنور. أثر دلالة المكان في وعي الشاعر العربي في العصر الجاهلي. مجلة الحكمة العالمية للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، العدد٧/الرقم١، ٢٠٢٤م.
٣- بحراوي، حسن. بنية الشكل الروائي (الفضاء–الزمن–الشخصية). ط٢، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٩م، المغرب.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

٤- بشيشي، عبد القادر. بنية الشخصية في الخطاب السردي عند السعيد بوطاجين. جامعة الجزائر/كلية اللغة العربية وآدابها، ٢٠٢١م-٢٠٢٢م، الجزائر.
٥- بوخاري، خيرة. جماليات الحوار القصصي في الشعر الجاهلي. جامعة أبو بكر بلقايد/تلمسان، د.ت.
٦- جلود، علي حسين؛ سعود، حمادي خلف. المكان في شعر أصحاب المعلقات العشر الجاهليين. مجلة العلوم التربوية والإنسانية، العدد٧، ٢٠٢١م.
٧- سلمان، طلال خليفة. الشخصية في عالم غائب طعمة فرمان الروائي. ط١، إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية، ٢٠١٢م، بغداد.
٨- سعود، حمادي خلف؛ جلود، علي حسين. المكان في شعر أصحاب المعلقات العشر الجاهليين. مجلة العلوم التربوية والإنسانية، العدد٧، ٢٠٢١م. (مكررة مع جلود، وضعت هنا حسب الترتيب)
٩- الشيخ، كبير. فلسفة المكان وعلاقتها بالاغتراب في نفسية الشاعر الجاهلي. مجلة النص، المجلد٨/العدد١، ٢٠٢١م.
١٠- عبد العبدلي، ظفار نجم. دراسة البنية السردية في الشعر الجاهلي عند الباحثين العراقيين. جامعة المثنى/كلية التربية، مكتبة العتبة العباسية الرقمية، ٢٠١٢م.
١١- عبد الجابر، سعود محمود. شعر الزبرقات بن بدر وعمر بن الأهتم، جامعة قطر، الطبعة الأولى،١٤٠٤هـ-١٩٨٤م،مؤسسة الرسالة ،بيروت.
١٢- المعيني، عبد الحميد. شعر بني تميم في العصر الجاهلي. منشورات دار القصيم الأدبي، الإصدار السابع، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
١٣- المشلب، فارس نايف فايز. بناء الشخصية في المعلقات. جامعة واسط/كلية التربية، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، العراق.
١٤- ميرود، وسيلة؛ بوودن، نورة. جماليات المكان في رواية (ما لا تذروه الرياح) لعرعار محمد العالي. معهد الآداب واللغات، ٢٠٢٣م، الجزائر.
١٥- فوغالي، باديس. الزمان والمكان في الشعر الجاهلي. ط١، عالم الكتب الحديث، عمان، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

Sources and References:

1. Ibrahim, A. (1988). *The Artistic Structure of the War Novel in Iraq (A Study of Narrative Systems and Structure in Contemporary Iraqi Fiction)*. Baghdad: General Cultural Affairs Publishing House, 1st ed.
2. Ououimi, M. R., Haj Osman, R., & Ben Ahmed, M. A. (2024). The Significance of Place in the Consciousness of the Arab Poet in the Pre-Islamic Era. *Al-Hikma International Journal of Islamic and Human Sciences*, 7(1).
3. Bahrawi, H. (2009). *The Structure of the Novel: Space–Time–Character* (2nd ed.). Casablanca: Arab Cultural Center.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

4. Beshishi, A. (2021–2022). *The Structure of Character in the Narrative Discourse of Said Boutajine*. Algiers: University of Algiers, Faculty of Arabic Language and Literature.
5. Boukhari, K. (n.d.). The Aesthetics of Narrative Dialogue in Pre-Islamic Poetry. Tlemcen: University of Abou Bekr Belkaid.
6. Jalloud, A. H., & Saud, H. K. (2021). Place in the Poetry of the Ten Pre-Islamic Mu‘allaqat Poets. *Journal of Educational and Human Sciences*, (7).
7. Salman, T. K. (2012). *Character in the World of Gha’ib Tu‘ma Farman’s Novels* (1st ed.). Baghdad: Baghdad Capital of Arab Culture Project Publications.
8. Sheikh, K. (2021). The Philosophy of Place and Its Relation to Alienation in the Psyche of the Pre-Islamic Poet. *Al-Nass Journal*, 8(1).
9. Abdul-Abdali, D. N. (2012). *The Study of Narrative Structure in Pre-Islamic Poetry by Iraqi Researchers*. Al-Muthanna: University of Al-Muthanna, Faculty of Education, Al-Abbasiyya Digital Library.
10. Al-Mu‘ini, A. H. (1982). *The Poetry of Banu Tamim in the Pre-Islamic Era*. Buraidah: Al-Qassim Literary Publishing House (7th issue).
11. Abdul Jabir, Saud Mahmoud. The Poetry of Al-Zabraqat ibn Badr and ‘Umar ibn al-Ahtam. Qatar University, First Edition, 1404 AH / 1984 CE, Al-Resalah Publishing House, Beirut.
12. Al-Mashlab, F. N. F. (2010). *Character Construction in the Mu‘allaqat*. Wasit: University of Wasit, Faculty of Education.
13. Meroud, W., & Boudoun, N. (2023). The Aesthetics of Place in the Novel *What the Winds Do Not Scatter* by Ar‘ar Mohamed Al-Aali. Algeria: Institute of Arts and Languages.
14. Foughali, B. (2008). *Time and Place in Pre-Islamic Poetry* (1st ed.). Amman: Modern Books World.
15. Foughali, Badis. Time and Space in Pre-Islamic Poetry. 1st Edition, Modern Books World, Amman, 1429 AH / 2008 CE.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الأربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ